

المحاضرة الخامسة عشرة

من الوصية ٣١

ومن وصيته ع للحسن بن علي ع كتبها بحاضرين منصرفاً من صفين

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَيْرِكَ، فَاحْبِبْ لِخَيْرِكَ  
مَا حُبَّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تظلمْ كَمَا لَا حُبَّ أَنْ تظلمَ،  
وَأَحْسِنْ كَمَا حُبَّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ  
مِنْ خَيْرِكَ، وَارْهَبْ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْهَبُهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَعْلُ مَا  
لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَعْلُ مَا لَا حُبَّ أَنْ يُقَالَ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ  
الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَأَخْفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ  
خَازِنًا لِخَيْرِكَ، فَإِذَا أَنْتَ هَبَيْتَ لِقَصْبِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ  
لِرَبِّكَ .

معاني المفردات

- ١- الميزان: جمعه موازين، آلة يُوزن بها الشيء ويُعرف مقداره
- ٢- استقبح الشيء: ضد استحسنه
- ٣- آفة الألباب: آفة العقول الخالصة
- ٤- اسع في الأمر: أي اهتم بتحصيله
- ٥- القصد: استقامة الطريق، يعني إذا أنت اهتديت إلى الطريق المستقيم الذي يوصلك إلى الحق فكن أخشع وأخضع وأكثر تضرعاً لربك.
- ٦- الخشوع: الخضوع، التضرع
- ٧- كدح: كدح كدحاً في العمل، جهّد نفسه فيه وكدّ حتى يؤثر فيها، وكدح لعياله أي كسب.
- ٨- المثقّة: الصعوبة والمحنة والعناء

## شرح النص

هذه الوصية ليست لشخص الإمام الحسن ع وإنما لجنس البشر، يتكلم الإمام عليه السلام في هذا المقطع عن الإنصاف أي المناصفة ويوصيه بأن يجعل نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره فيحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره له ولا يظلم ويحسن ولا يقل ما لا يعلم ولا يعجب بنفسه وأن يخشع لربه.

**(يَا بَنِيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ)** بني: تصغير كلمة ابني للتعطيف والتحنن. فكما توزن بالميزان أشياء فيعرف تساويها وقيمتها كذلك اجعل نفسك كمحايد - كأنه شخص ثالث - بينك وبين غيرك فتعطي الاثنين بالتساوي لينصفهم.

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: **وَبِالنِّصْفَةِ يَكْتُرُ الْمُوَاصِلُونَ**

النصفة من الإنصاف وهو العدل وجيئت من المناصفة وهي إعطاء نصف لك ونصف لي وقال البعض الإنصاف صفة لما هو مطابق للعدالة الطبيعية وهي عدالة نابعة من طبيعة الإنسان لا من النصوص القانونية، (يكثر المواصلون) أي محبوه ومريدوه ومعاودوه.

يقول الشارح لنهج البلاغة ابن ميثم البحراني في شرح العبارة: الإنصاف يوجب محبة الناس للمنصف وقتله - أي الإنصاف - يوجب الفرقة ويعدم الألفة.

**وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً**      **بَيْنَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ**

**(فَأَحِبِّ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا سَتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ)** أي أحبب لغيرك الخير كما تحبه لنفسك واکره للناس ما تكرهه لنفسك من أنواع الإثم والشر ولا تظلم أحداً كما لا تحب أن يظلمك الناس، قال المستشرق الصيني كونفوشيوس: لا تصنع مع الآخرين ما لا تحب أن يُصنع معك.

وأحسن كما تحب أن يحسن إليك الناس والإحسان هو الزيادة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) وقيل: العدل أن تتساوى سريرة الإنسان مع علانيته. والإحسان أن تكون سريرته أفضل من علانيته وهو قمة الإحسان.

واستقبح أي انظر لنفسك بنظرة الازدراء والإهانة كما تستقبح من غيرك الأعمال السيئة فلا يمكن أن يستقبح الإنسان عملاً من الناس وهو يأتي بمثله.

وارض بالأشياء التي تصدر من الناس كما ترضى بما يصدر من نفسك.

ولا تقبل شيئاً لا علم لك به عندما تُسأل وإن كان ما تعلمه قليل  
من الآراء في شرح العبارة (وَإِنْ قَلَّ مَا تَعَلَّمَ):

رأي: أنت لا تحب أن يجابوبك الناس بما لا يعلمون فكذلك أنت لا تُحب بما لا تعلم.  
رأي آخر: النفس تحب الإسهاب والتفصيل فعندما أنت تُسأل أجب بكل ما عندك وبكل ما تعلم فلا  
تكن قليل المعرفة إذا سُئلت.

الشيخ محمد جواد مغنية الشارح لنهج البلاغة في شرح العبارة (وَإِنْ قَلَّ مَا تَعَلَّمَ): أي حتى ولو قيل  
فيك أو عنك (لا علم له) أو هو قليل الحظ في العلم.

(وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ) قال الشارح ابن ميثم البحراني: أي بالسب والمواجهة بالعيوب  
والألقاب المكروهة وكل كلام مؤذٍ (وَلَا تَتَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ)

(وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَأَفَةُ الْأَبَابِ)

الإعجاب: استحسان الإنسان أفعاله وما يصدر منه وهو أزدل الرذائل لأنه (وفوق كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
عَلِيمٌ)، ضد الصواب لأن الإنسان يفعل حسناً ويفعل قبيحاً فاستحسان الكل خطأ، أي مَنْ يعجب  
بنفسه يستحسن جميع أفعاله وهذا ضد الصواب وأفة الأبواب.

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ.

ورد في نهج البلاغة في صفات المتقين: فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا رُكِّيَ مِنْهُمْ  
أَحَدٌ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا  
يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

(فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ) الكدح هو السعي الشديد، أي أنفق ما حصلت عليه عن  
طريق الكدح للفقراء ولا تترك كل أموالك للورثة بأن تحرص على جمع المال ثم تتركه للوارث بل  
أنفقه في سبيل الله ليكون لك ذخراً ومنفعة يوم القيامة.

(فَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَحْسَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ) فإذا وفقك الله للأعمال الطيبة التي ذكرتها لك  
فاشكره سبحانه بالتواضع دعفاً للعجب عن نفسك فإن الإنسان ربما يهتدي لكنه يعجب بنفسه فيكون  
وبالآ علىه.

وَإِذَا مَا أزدَدْتُ عِلْماً زَادَتِي عِلْماً بِجَهْلِي

كُلَّمَا أَدْبَنِي الدَّهْرُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي